شهدوه يرنو[145] إليهم بشفقة وإشفاق، يسكب رفقه وحنانه في عيونهم الحيرانه، يمسّ قلوبهم مسّ طيف، يمسح الخوف، ويضفي الطمأنينة. فإن هي إلاّ لحظات، حتّى تبيّنوه ينأى[146] عنهم ببصره وفكره، بقلبه ولبّه، ببالـه وخيالـه، بكلّ مشاعر وجدانه. في الفضاء سبحت عيناه، نحو ما وراء مدارات النجوم والكواكب انطلقت روحه، فوق بقعة غير مرئية في السماوات العُلى اطمأنّ جبينه المشرق، كأنّما يلاصقها ساجداً ﷺ. * * * وآب[147] إليهم آب من سبحاته القدسية هذه، فإذا هم يرونه على غير ما ظنّوه سيكون، على غير ما ألفوا قبله في إنسان. هيئته هيبة، سمته وقار، ملامحة دعة، حوله هالة من قداسة تنحسر عنها الأبصار. لاح لهم ـ وهو منهم قريب ـ كأنّه بعيد، ولاحوا لأنفسهم كأنّهم عنه غيّب[148]، وإنّهم لشهود! أفقام بينه وبينهم حجاب؟ أم انسدل سجاف[149] منشور من نور، من خلفه نور، ومن أمامه نور؟ أم غاب عنهم، ثم جاءهم آخر غيره كلّه ضياء وصفاء من وراء ستر الغيوب؟ * * *